

تفسير السعدي

@ 391 @ ^ (إنه بما يعملون) ^ من خير وشر ! 2 2 ! فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم ،
دقيقها وجليلها . ثم لما أخبر بعدم استقامتهم ، التي أوجبت اختلافهم وافتراقهم ، أمر
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا ، فيسلكوا ما
شرعه الله من الشرائع ، ويعتقدوا ما أخبر الله من العقائد الصحيحة ، ولا يزيغوا عن ذلك ،
يمنة ، ولا يسرة ، ويدوموا على ذلك ، ولا يطغوا ، بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من
الاستقامة . وقوله : ^ (إنه بما تعملون بصير) ^ أي : لا يخفى عليه من أعمالكم شيء ،
وسيجازيكم عليها . ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة ، وترهيب من ضدها ، ولهذا حذرهم عن الميل
إلى من تعدى الاستقامة فقال : ^ (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ^ فإنكم إذا ملتكم إليهم
، ووافقتموهم على ظلمهم ، أو رضيتهم ما هم عليه من الظلم ^ (فتمسك النار) ^ إن فعلتم
ذلك ^ (وما لكم من دون الله من أولياء) ^ يمنعونكم من عذاب الله ، ولا يحصلون لكم شيئا من
ثواب الله . ^ (ثم لا تنصرون) ^ أي : لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم . ففي هذه الآية :
التحذير من الركون إلى كل ظالم ، والمراد بالركون ، الميل والانضمام إليه بظلمه ،
وموافقته على ذلك ، والرضا بما هو عليه من الظلم . وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى
الظلمة ، فكيف حال الظلمة ؟ نسأل الله العافية من الظلم . ^ (وأقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين * واصبر فإن الله لا يضيع
أجر المحسنين) ^ يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ^ (طرفي النهار) ^ أي : أوله وآخره
، ويدخل في هذا ، صلاة الفجر ، وصلاتا الظهر والعصر ، ^ (وزلفا من الليل) ^ ويدخل في
ذلك صلاة المغرب والعشاء ، ويتناول ذلك قيام الليل ، فإنها مما تزلف العبد ، وتقربه إلى
الله تعالى . ^ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ^ أي : فهذه الصلوات الخمس ، وما ألحق بها
من التطوعات من أكبر الحسنات ، وهي : مع أنها حسنات تقرب إلى الله ، وتوجب الثواب ،
فإنها تذهب السيئات وتمحوها ، والمراد بذلك : الصغائر ، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثل قوله : (والصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان
إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) ، بل كما قيدتها الآية التي في سورة
النساء ، وهي قوله عز وجل : ! 2 2 ! . ذلك ولعل الإشارة لكل ما تقدم من لزوم الاستقامة
على الصراط المستقيم وعدم مجاوزته وتعديه ، وعدم الركون إلى الذين ظلموا . والأمر
 بإقامة الصلاة ، وبيان أن الحسنات يذهبن السيئات ، الجميع ^ (ذكرى للذاكرين) ^ يفهمون
بها ما أمرهم الله به ، ونهاهم عنه ، ويمثلون لتلك الأوامر الحسنة المثمرة للخيرات ،

الدافعة للشروع والسيئات . ولكن تلك الأمور ، تحتاج إلى مجاهدة النفس ، والصبر عليها
ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : احبس نفسك على طاعة الله ، وعن معصيته ، وإلزامها لذلك ،
واستمر ولا تضجر . ^ (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ^ بل يتقبل الله عنهم أحسن الذي
عملوا ، ويجزيهم أجرهم ، بأحسن ما كانوا يعملون . وفي هذا ترغيب عظيم ، للزوم الصبر ،
بتشويق النفس الضعيفة ، إلى ثواب الله ، كلما ونت وفترت . ^ (فلولا كان من القرون من
قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا
مآ أترفوا فيه وكانوا مجرمين) ^ لما ذكر تعالى إهلاك الأمم المكذبة للرسول ، وأن أكثرهم
منحرفون عن أهل الكتب الإلهية وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال ، ذكر أنه
لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى ، وينهون عن الفساد
والردى ، فصل من نفعهم ، وأبقيت به الأديان ، ولكنهم قليلون جدا . وغاية الأمر ، أنهم
نجوا باتباعهم المرسلين ، وقيامهم بما قاموا به من دينهم ، ويكون حجة الله أجراها على
أيديهم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة . ^ (و) ^ لكن ^ (اتبع الذين
ظلموا ما أترفوا فيه) ^ أي : اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف ، ولم يرغبوا به بدلا .
^ (وكانوا مجرمين) ^ أي : ظالمين ، باتباعهم ما أترفوا فيه ، فلذلك حق عليهم العقاب
، واستأصلهم العذاب . وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون